

خطبة الجمعة بتاريخ 2024/12/13 الموافق 11 جمادى الآخرة 1446 هـ

الدليل العقلي على وجود الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعُقُولَ فَتَوَرَّ بِصَائِرِ قَوْمٍ وَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِفَضْلِهِ وَأَعْمَى قُلُوبَ آخَرِينَ فَأَصْلَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَيْبَةَ وَلَا مِثْلَ وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا حَدَّ وَلَا جُنَّةَ وَلَا أَعْضَاءَ لَهُ، أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ، مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْقَائِلِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾^(٢) إِخْوَةَ الْإِيمَانِ إِنَّ مَنْ نَظَرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ نَظَرَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ وُجُودَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتَهُ وَثُبُوتَ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ. وَنَحْنُ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ مَأْمُورُونَ بِهَذَا التَّفَكُّرِ. فَقَدْ وَرَدَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَيُلِّمُنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا أَهٌ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ الدَّلِيلُ الإِجْمَالِيُّ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ. فَالوَاحِدُ مِنَّا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ثُمَّ وُجِدَ وَخُلِقَ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَا بُدَّ مُحْتَاجٍ إِلَى مَنْ أَوْجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لِأَنَّ الْعَقْلَ السَّلِيمَ يَحْكُمُ بِأَنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ بَعْدَ عَدَمِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى مُوجِدٍ لَهُ وَهَذَا الْمَوْجِدُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

¹ سورة آل عمران / 190-191.

² رواه ابن حبان في صحيحه

هَذَا الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فَالْهَوَاءُ يَهْبُ تَارَةً وَيَسْكُنُ تَارَةً .. وَيَسْخُنُ وَقْتًا وَيَبْرُدُ فِي وَقْتٍ
 آخَرَ .. وَتَنْبُتُ نَبْتَةً وَتَذْبُلُ أُخْرَى .. وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَغْرُبُ فِي الْمَغْرِبِ .. وَتَكُونُ الشَّمْسُ فِي
 وَسْطِ النَّهَارِ بَيَضَاءً وَفِي آخِرِهِ صَفْرَاءً فَكُلُّ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ حَادِثَةٌ مَخْلُوقَةٌ لَهَا مُغَيِّرٌ
 غَيْرُهَا وَمُطَوِّرٌ طَوْرَهَا، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ أَجْزَاءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ فَهَذَا الْعَالَمُ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ مُخْتِاجٌ إِلَى مَنْ خَلَقَهُ
 وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

يُرَوَى أَنَّ بَعْضَ الدَّهْرِيَّةِ الْمَلَاحِدَةِ دَخَلُوا عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرَادُوا الْفِتْكَ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ
 لَا يَفْتَأُ يَرُدُّ ضَلَالَاتِهِمْ وَيَفْضُحُ زَيِّغَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ أَجِيبُونِي عَلَى مَسْأَلَةٍ نَمَّ أَفْعَلُوا مَا سَأَلْتُمْ فَقَالُوا لَهُ هَاتِ فَقَالَ
 مَا تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ يَقُولُ لَكُمْ إِنِّي رَأَيْتُ سَفِينَةً مَشْحُونَةً بِالْأَحْمَالِ مَمْلُوءَةً بِالْأَثْقَالِ قَدِ احْتَوَسَتْهَا فِي لِحَّةِ
 الْبَحْرِ أَمْوَاجٌ مُتَلَطِّمَةٌ وَرِيَّاحٌ مُخْتَلِفَةٌ وَهِيَ مِنْ بَيْنِهَا تَجْرِي مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا مَلَأَحٌ يُجْرِيهَا وَلَا مَدْبِرٌ يُدِيرُ
 أَمْرَهَا هَلْ يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْعَقْلِ قَالُوا لَا هَذَا شَيْءٌ لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا لَمْ يُجَازِ
 الْعَقْلُ سَفِينَةً تَجْرِي مِنْ غَيْرِ مَلَأَحٍ يُدِيرُهَا فِي جَرِيَانِهَا فَكَيْفَ يُجَازِ قِيَامَ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا
 وَتَغْيِيرِ أَعْمَالِهَا وَسَعَةِ أَظْرَافِهَا مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ وَحَافِظٍ فَكَبُّوا جَمِيعًا وَقَالُوا صَدَقْتَ وَأَعْمَدُوا سُيُوفَهُمْ وَتَابُوا
 بِالْإِسْلَامِ.

نَمَّ إِنَّ الْعَقْلَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ يُدْرِكُ بِالتَّظَرِّ السَّلِيمِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ خَالِقَهَا لَا يُشْبِهُهَا بِوَجْهِ
 لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَالِقُ الْعَالَمِ يُشْبِهُهُ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ لَجَازَ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ مِنَ الْحُدُوثِ وَالْحَاجَةِ
 وَالْإِفْتِقَارِ وَالتَّغْيِيرِ لِأَنَّ الْمُتَشَابِهَاتِ يَجُوزُ عَلَيْهَا مَا يَجُوزُ عَلَى بَعْضِهَا وَلَا حَتَّاجٌ إِلَى مُوجِدٍ أَوْجَدَهُ وَمُحَدِّثٍ أَحَدَتْهُ
 فَإِنَّ الْحَادِثَ مُخْتِاجٌ إِلَى مَنْ أَوْجَدَهُ وَخَصَّصَهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَيْئَةِ وَالصُّورَةِ وَالصِّفَاتِ، وَالمُتَغَيِّرِ مِنْ حَالٍ إِلَى
 حَالٍ مُخْتِاجٌ إِلَى مَنْ يُغَيِّرُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَالمُتَحَوِّزِ فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا وَافْتِقَارُ
 الْجِسْمِ إِلَى مَنْ حَدَّهُ بِهَذَا الْمِقْدَارِ مِنْ طُولٍ وَعَرْضٍ وَسَمَكٍ وَاضِحٌ لَا لَبْسَ فِيهِ لِصَاحِبِ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَاللَّهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُخْتِاجًا لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَكَانَ مَخْلُوقًا حَادِثًا وَلَمْ يَكُنْ إِلَهًا أَزَلِيًّا.
 وَقَفَّقَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْقَبَاتِ عَلَيْهِ، هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
 مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ
 وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

Esclaves de Dieu, je vous recommande ainsi qu'à moi-même, de faire preuve de piété à l'égard de *Allah Al-^Aliyy Al-^Adhim*, Celui Qui dit dans Son Livre honoré ce qui signifie : « **Il y a bien dans la création des cieux et de la terre, dans l'alternance de la nuit et du jour, des signes pour ceux qui sont dotés de raison. Ceux-là évoquent Dieu lorsqu'ils sont debout, assis ou couchés sur leurs flancs, ils méditent au sujet de la création des cieux et de la terre en disant : "Seigneur, Tu n'as pas créé tout cela absurdement, Tu es exempt d'imperfection, alors préserve-nous du châtement de l'enfer."** »

Mes frères de foi, celui qui observe bien les créatures de Dieu, en méditant et en réfléchissant, déduira grâce à sa raison l'existence de *Allah tabaraka wata^ala* ainsi que Son unicité et la confirmation de Sa toute-puissance et de Sa volonté. Et nous avons, mes frères de foi, l'obligation de pratiquer cette méditation. En effet, il a été rapporté du Messenger de Dieu ﷺ qu'il a dit au sujet du verset mentionné ci-dessus ce qui signifie : « **Malheur à celui qui récite ce verset et ne médite pas dessus.** »

Certes, la méditation au sujet des créatures de Dieu mène à la reconnaissance de l'existence du Créateur et de Son unicité. Les savants de *Ahlou s-Sounnah* ont dit qu'il est un devoir, pour toute personne responsable, d'avoir dans le cœur une preuve globale de l'existence de Dieu.

Mes frères de foi, chacun de nous sait au fond de lui-même qu'à un moment donné dans le passé, il n'existait pas puis qu'il a existé, qu'il a donc été créé. Et tout ce qui est ainsi, a nécessairement besoin de Qui l'a fait exister après qu'il n'existait pas. En effet, la raison saine juge que l'existence d'une chose après son inexistence, nécessite un Être Qui l'a fait exister. Et l'Être Qui donne l'existence, c'est *Allah tabaraka wata^ala*.

Ce monde change d'un état à un autre. Tantôt le vent souffle, tantôt il ne souffle pas. Tantôt il est chaud, tantôt il est froid. Une plante pousse, une autre se fane. Le soleil se lève à l'est et se couche à l'ouest. À la mi-journée, le soleil est blanc et à la fin de la journée, il est jaune. Ainsi tous ces changements montrent que ces choses sont entrées en existence et qu'elles sont créées, qu'il y a un Être Qui les change, un Être Qui les fait évoluer. Or ces choses sont des parties de ce monde, ce monde est donc lui-même créé, entré en existence, il a besoin de Qui l'a créé et il s'agit de *Allah ta^ala*.

Il a été rapporté que certains *dahriyyah* qui sont des athées sont partis voir l'Imam *Abou Hanifah*, que Dieu l'a agréé, dans le but de le tuer, et ce pour la simple raison qu'il dévoilait leurs hérésies et ne cessait de répliquer à leurs égarements. Il leur a dit :

— « Répondez à cette question, puis faites ce que vous voudrez ! » Ils lui répondirent :

— « D'accord ! » Il leur demanda :

— « Que diriez-vous si un homme vous disait : "J'ai vu un bateau tout chargé de marchandises, pris dans une tempête qui l'entourait de vagues et de vents de toutes parts, mais ce bateau continuait son chemin tout droit, sans qu'aucun capitaine ni aucun équipage ne le dirige." Est-ce que la raison accepte cela ? » Ils lui répondirent :

— « Non, c'est quelque chose que la raison n'accepte pas ! » Alors *Abou Hanifah* leur a dit :

— « Dieu est exempt de toute imperfection ! Si la raison n'accepte pas qu'un bateau navigue sans équipage ni capitaine pour le diriger, alors comment la raison accepterait que ce monde existe, compte tenu de ses états changeants, de ses bouleversements de situations et de la

multitude de ses composants, sans créateur, sans un Être Qui le préserve ? » Ils se retrouvèrent tous à pleurer et à lui dire :

— « *Tu as dit vrai !* » Ils rengainèrent leurs épées et se repentirent en entrant en l’Islam.

Par ailleurs, chers frères de foi, la raison permet de comprendre, grâce à une saine réflexion sur les créatures de *Allah ta’ala*, que leur Créateur n’a aucune ressemblance, de quelque ordre que ce soit, avec elles. Du simple fait que si le Créateur du monde avait une quelconque ressemblance avec ce monde, il Lui serait possible tout ce qui est possible pour ce monde, comme d’avoir un début et d’avoir besoin d’autrui, de dépendre d’autre chose ou comme le fait de changer, car ce qui est possible pour une chose est possible pour ses semblables. Par conséquent, si Dieu était semblable au monde, Il aurait besoin de qui L’a fait exister. En effet, ce qui entre en existence a besoin de Qui le fait entrer en existence, de Qui le spécifie par des caractéristiques telles que son aspect et son image. Ce qui change d’un état à un autre, a besoin de Qui le fait changer d’un état à un autre. Et ce qui est localisé dans un endroit et dans une direction, est nécessairement un corps. Or le corps a besoin de Qui lui donne cette limite-là, cette quantité-là, cette longueur-là, cette largeur-là, cette épaisseur-là, cela ne fait aucun doute pour celui qui utilise sa raison sainement. Et *Allah tabaraka wata’ala* est exempt de tout cela, car s’Il avait besoin de quoi que ce soit, Il serait une créature et Son existence aurait donc un début, Il ne serait pas dieu, exempt de début.

واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ عظيمٍ، أمركم بالصلاة والسلام على نبيِّه الكريم فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾³. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁴ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾⁵، اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَامِنِ رَوْعَاتِنَا وَكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَبِيِّ رَحِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَثْبِقْكُمْ وَأَشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

³ سورة الاحزاب / 56.

⁴ سورة الحجج / 1-2.